استطلاع صحفى

الأندية الأدبية فى مصر

نادى الحلمية

لمندوب الرسالة الأدبى

مقهى ضئيل المنظر ، تافه الموقع ، يطل على ميدان ضيق محدود ، يعج بالسابلة ، ويضج بالحركة ، وترتفع فيه أصوات الترام والسيارات منحدرة من القلعة وصاعدة إليها ، فلا رواء فيه ولا بهاء ولا شيء مما يبعث الشعر ويهز الفكر ويحبب إلى الأدب ، ويغمر النفس بشعور الرضا والاطمئنان ؛ ولكنه على الرغم من هذا كله مهوى الشعراء والأدباء ، ومراد الأفكار والآراء ، وله فى ذلك عمر طويل وتاريخ حافل

ترى ما الذى حبب هذا المكان إلى إخواننا الأدباء وهم طلاب الهدوء والسكون ، وعشاق المناظر الشعرية اللطيفة ؟ ! أهى تلك الدرجات الأربع التى يصعدها الداخل إليه فتشعره بالرفعة والصعود والعظمة ! وحب العظمة شيء فى نفوس الأدباء ؛ أم هى تلك الديمقراطية الصريحة التى يتميز بها ذلك المكان ، إذ يجلس القوم فى غير كلفة ، والتملص من الكلفة شيء محبوب لدى الشعراء ؛ أم هى قلة النفقة ، والأدباء لا شك قروشهم معدودة ، وجيوبهم مكدودة ، فهم يرتاحون إلى قلة المصاريف وعدم التكاليف ؟ !

أنا والله لا أدرى السبب فى ذلك . ولقد سألت إخواننا الأدباء أنفسهم فما وجدت عندهم شيئاً من علم ذلك السر ، بل لقد ذكر لى الشاعر « الأسمر » أن أدباء الحلمية تمردوا منذ سنوات على ناديهم ، وحاولوا أن يكون مجلسهم فى مقهى فخم بميدان الأوبرا حتى يليق بمكانتهم ، ولكنهم فشلوا فى تمردهم ، وعادوا إلى مكانهم صاغرين ! حيث ما زالوا يصعدون الدرجات الأربع ! وقد يكون للمسألة تعليل من التاريخ ، فلنرجع إلى التاريخ

إن نادى الحلمية يتصل بحى الحلمية ، وحى الحلمية حى يتميز بطابع خاص ، وينفرد بتاريخ حافل ، وهو أول حى أسس فى مصر على طراز منظم ؛ وقد كان موطن الأسر العريقة والسلالات التركية التى تحكم البلد ، وتملك ثروته ؛ وقد كان لهذا الحى ناد يشرف على شارع محمد على فى مواجهة جامع قوصون ، وكان يختلف إليه كثير من الكبراء والأدباء الذين يقطنون ذلك الحى ، فكان يجلس فيه المرحوم حسين باشا رشدى ، والمرحوم شوقى بك قبل أن ينتقل إلى المطرية ، وحفنى ناصف ، وابراهيم هلال ، وحافظ إبراهيم ، والشيخ عبد المطلب ، وأحمد نسيم ، وأحمد الزين ، وبيرم ، والمهراوى ، وعماد ، والسيد حسن القاياتى ، وكان يتردد عليه المازنى أيام كان يسكن بالإمام ؛ وقد أخبرنى المهراوى أنه لا يذكر أديباً فى مصر لم يتصل تاريخه بذلك النادى القديم ، وإنه ليتحدى من ينكر الجميل على أصحابه . وإنه على استعداد لأن يذكر من لا يذكر ماضيه !

الأساتذة : الأسمر ، حسن شفيق ، عبد الرسول ، المهراوى

وقد ظل ذلك النادى قائماً أيام الثورة المصرية ، فانتقل إليه الشيخ مصطفى القاياتى رحمه الله ، وكان الشيخ القاياتى عنصراً قوياً من عناصر الثورة ، وكانت له حاشية حافلة بالشباب المفكر الجرىء أمثال الشيخ عباس الجمل ، والشيخ الجديلى ، والشيخ البنا ، والأستاذ إبراهيم عبد الهادى ، وأضرابهم ، فاختلط الأدب بالسياسة بين جدران النادى ، فكانت تنطلق منه التدابير المفزعة والقوافى المقذعة ، فضاق به الإنجليز ، وأطلقوا عليه الرصاص ؛ وللمهراوى فى ذلك شعر ...

فلما كان سنة ١٩٢٦ مات صاحب المقهى ، فانفض السامر ، وانقطع الزائر ، وبطل الندى الحافل ، وقام مكانه مطعم للفول ومستخرجاته ، والقدس بجميع ألوانه ؛ وراح الأدباء يتلمسون المكان الذى يجمعهم ، فتأخروا خطوات عن جامع قوصون إلى جهة القلعة فوقعوا على النادى الذى هو مجمعهم اليوم ، والذى هو موضوع حديثنا فى ذلك المقال

ولقد غدا النادى الجديد صورة كاملة للنادى القديم ، فحفل بالأدباء والشعراء ، وعمرت مقاعده بمجالسهم فى الليل والنهار ،

وقصده الكبار في الأدب والصغار !

فكان يجلس فيه الشيخ عبد المطلب شاعر البادية ، والحاج محمد الهراوى شاعر الأطفال والرجال ، والأسمر أديب القبلتين وشاعر الأزهر ، وازين شاعر دار الكتب ، وحسين شفيق المصرى الشاعر الحلمنتيشى المعروف ، والدكتور زكى مبارك عبقرى سنتريس ومعبود باريس ، والسيد حسن القاياتى شاعر النيل والورع ، و (مجنون) إحسان . وكان ينضم إليهم كثير من شباب الأزهر ودار العلوم وغيرهم ممن يشدون بالأدب ويعملون فى الصحافة ؛ وكان حافظ رحمه الله يتردد عليهم من وقت لآخر خصوصاً فى الفترة التى أحيل فيها على المعاش ؛ وبين جدران ذلك النادى نظم قصيدته الطويلة فى هجاء صدقى باشا التى لم ينشر منها فى الديوان إلا أبيات ...

الأسمر ، فهمى عبد اللطيف ، عبد الرسول ، الهراوى يأكلون الجزر

ولقد استبدت تكاليف الحياة ومطالب العيش بكثير من الأدباء فألهتهم عن مجالس السمر ، وحرمتهم من ذلك المجلس الطيب الشهى ، ولكن ما زال النادى عامراً بأبنائه المخلصين ، وما زال المتخرجون فيه يهبطون عليه بين وقت وآخر حتى الذين يسكنون فى الضواحى على بعد الشقة وكثرة الكلفة . ويا له من حنين طيب ووفاء عجيب ! وقديماً قيل (ما الحب إلا للحبيب الأول)

ويعتبر الهراوى فى هذه الأيام عميد نادى الحلمية ، أو عمدة مصطبة الحلمية كما يقول صديقنا الدكتور زكى مبارك ، أو شيخ السقيفة على حد تعبير المهدى مصطفى الشاعر الظريف

فالهراوى من الجلساء المخضرمين أدرك النادى السابق وكان من رجاله ، وأسس النادى اللاحق وآثره بكثير من عطفه وإخلاصه ، فقل أن يتغيب عنه فى يوم من الأيام ودائماً يحلو له أن يأخذ مجلسه عند المدخل على سفح (الدرجات الأربع) ومن حوله الأسمر والشيخ عبد الرسول ومرتضى الخطاط ، أجزاء لا تتجزأ وعصبة لا تفترق

وأدباء الحلمية نمط واحد وطراز متفق ، ولهم ذوق عملت فيه الثقافة العربية أكثر من أى شىء آخر ؛ وهم يعشقون الديباجة القوية السليمة ، ويطيرون بالأساليب المشرقة المونقة ، ويذكرون شوقى وحافظ وعبد المطلب بالخير والحمد ، ويترحمون على المنفلوطى والرافعى وأضرابهما ؛ والزين لا يعدل بالزيات أديباً فى مصر بل فى الشرق . وهم يضحكون من أولئك الشعراء والأدباء المستغربين الذين يذكرون جوته وشكسبير ولا يعرفون المتنبى والبحترى وشيخ المعرة ، ويسميهم الهراوى بدجاج القريض ، وفى رواية أخرى ببغاث الشعر .

وكثيراً ما يدخل أدباء الحلمية فى مناقشات حادة ، وجدال عنيف ، يصل ضجيجه إلى الشارع ، ويطول فيه اللسان ويسفه ، ولكنهم دائماً خلصاء أصفياء على الكرامى متقابلين .

ويجرى أدباء الحلمية فى فنون وأمشاج من أحاديث الأدب والنقد والدعابة ، فإذا كان الحديث فى ذكريات الماضى ، فالهراوى فارس الحلبة ، يزكيه الشيخ عبد الرسول ؛ وإذا كان القول فى أخبار الأدباء والشعراء فالحكم للزين والويل لمن يعترض ؛ وإذا تكلم القوم فى الشعر رأى الأسمر أن يخرج من وقاره فيخب ويضع ؛ فإذا انتهى القوم إلى الدعابة حاولوا جميعاً أن يعدوا ألسنتهم ؛ ولكن لا يلبث الشاعر الحلمنتيشى أن يضع يده على رؤوس القوم وأن يجرفهم بتياره الزاخر ، حتى يقول كل منهم لصاحبه : انج سعد فقد هلك سعيد .

وقد يبتدىء القوم حديثهم فى شىء يهمهم ، أو فى مشكلة تعنيهم ، ولكنهم سرعان ما يخلعون عليه ثوب الأدب ويجعلونه حديث السمر .

فهذا الشاعر الأسمر قد جاء فى أمسية يشكو إلى إخوانه أمر ساعة أهداها إليه صاحبه الهراوى فأتعبته وصارت تمشى كما يقول الأسمر تارة (عربى) وتارة (أفرنجى) وتارة لا عربى ولا أفرنجى ، أما الدكتور حسين الهراوى فتناولها ثم جس نبضها وقال :

هذه (عندها ضغط دق) وهى (تحتاج إلى الراحة التامة)

وأما الدكتور زكى مبارك فنظر إليها ثم اندفع ينشد :

واهـا لبعض الهدايا | بعض الهدايا رزايا
ساعات باريس عندى | لهـا جميع المزايا
تدق دقاً لطيفاً | كمثل همس منايا
وساعة الهراوى | أولى ببعض التكايا
تدق دقاً عنيفاً | كما تدور رحايا

وأراد أن يسترسل فى إنشاده فهدده الهراوى بإهداء (منبه) إليه ، فأمسك وجبن

وأما الأستاذ حسين شفيق المصرى فقال : « دى ساعه دايره على كيفها » و (ماشيه مشى مسخره) و (قلبها فاضى) و (عاوزه بوليس يضبطها) و (الساعاتى لما يشوفها قلبه يدق) و (أنها الساعة التى هى أدهى وأمر ...)

وكان مجلس طيب لم يسع الهراوى نفسه إلا أن يسجله بالشعر فقال :

وساعة أهديتها | إلى الأديب الأسمر
حسبتها فى مخبر | كما لها من مظهر
فظرفها من معدن | مرقش منمّتر
فمن بياض فضة | إلى سواد عنبر
وعقربا مينائها | من النضار الأصفر
أحجارها كأنها | من لؤلؤ وجوهر
فلم يكن كمثلها | هدية من موسر
ولم يكن كمثلها | من بائع لمشترى
وليس من تقدم | فيها ولا تأخر
تمشى عليها الشمس فى | عطارد والمشترى
وقد ظننت أنه | بمثلها لم يظفر
حتى احتوانا مجلس | يزخر بالتندر
فمن طبيب ماهر | إلى أديب عبقرى
وكاتب مفكر | وشاعر مصور
فجاءنا الأسمر فى | زمجرة الغضنفر
ثم رمى بساعتى | بهيئة المتنكر
وقال فافتح محضراً | واذكر وقل فى المحضر
بأننى من ساعتى | ومنك فى تحير
فإنها تذبذبت | من سنة فأكثر
فتارة تقدّمُ | إلى مدًى لم يحصر
فتسبق الليل إلى | صباحه البكر
وتارة تأخُّر | لغاية لم تقدر
والآن فانظر ترها | فى وقفة المتكبر
وإن ما ذكرته | دون الذى لم أذكر

* * *

فقلت مهلاً يا أخى | فضحتنى فى معشرى
فانهمرت نكاتهم | مثل السحاب الممطر
فقائل : حق نشيـ | ـق لفقيه أزهرى
وقائل : محبرة | من اختراع (برّكر)
وقائل : رقاصها | يحتاج للمجبر
وقائل : قوموا بنا | نسأل عنها السمكري
فقلت كفوا ساعة | عن ساعة لم تستر
أليس منكم عاذر | حتى أخى لم يعذر
إن قصرت فإنها | فى زمن مقصر
آليت لا أهدى لكم | شيئاً — يمين منذر
ومن أراد ساعة | فليشتر أو يكتر

وكم فى (نادى الحلمية) من مثل هذه المجالس الطيبة لو حفل أديب بتسجيلها لحفظ للناس كثيراً من السمر الطيب والدعابة الحلوة والأدب الرائع ... ولكن هيهات

م . ف . ع

رجل متعلم يساوى رجلين

والرجل الذى يعرف عدة لغات يساوى عشرة رجال — فاشتركوا فى فصول تعليم الفرنسية والانجليزية ... الخ فى

مدارس برليتس
BERLITZ

وهى مفتوحة باستمرار — وفى بضعة شهور ستدهشون للنجاح المحقق والأجور معتدلة :

القاهرة : شارع عماد الدين رقم ١٦٥
الأسكندرية : شارع سعد زغلول باشا رقم ١١